الفصل الثاني

"أين ذهب كل هؤلاء الأطفال؟"

"وسوف تتركون قلة في العدد، بينما كنتم كالنجوم في السماء كثرة، ذلك بأنكم لم تطيعوا صوت الله ربكم."

- سفر التثنية: ٢٨

الكتاب المقدس، نسخة الملك جيمس

لماذا توقفت أمم أوروبا وشعوبها عن إنجاب الأطفال وبدأت تقبل اختفاءها من هذه الأرض بمثل هذه اللامبالاة الظاهرة؟ هل جراح الحرب وفقدان الإمبراطورية قتلت فيهم إرادة الحياة؟ من البينات المتوفرة يبدو أن كلا الأمرين ليس هو المشكلة.

لقد تركت الحرب العظمى ألمانيا الإمبراطورية مهزومة ومقطعة الأوصال، وقد خسرت مليوني قتيل مع ملايين العجزة المقعدين. ومع ذلك فقد نما عدد السكان الألمان بشكل سريع بعد العام ١٩١٩ إلى درجة أصابت فرنسا، وهي من بين المنتصرين، بالذعر. وبعد الحرب العالمية الثانية انفجرت ازدهارات ولادات الأطفال بين اليابانيين والألمان المهزومين مثلما ازدهرت عند الأمريكيين المنتصرين. ومن

دراسة لوحات الولادة، نجد أن شيئا ما قد حدث في أواسط الستينات من ١٩٦٠، في وسط الرفاهية التي جاءت بعد الحرب، وهو شيء غيّر قلوب النساء الغربيات وعقولهن وقتل فيهن الرغبة في أن يعشن كما عاشت أمهاتهن. ولكن إذا كان السبب الذي توقفت من أجله النساء الغربيات عن إنجاب الأطفال موضع خلاف، فإن الكيفية التي فعلن بها ذلك ليست موضعَ خلاف. إن منع الحمل أوقف نمو السكان في الغرب، ومع منع الحمل الإجهاض بوصفه خط الدفاع الثاني ضد الطفل غير المرغوب بمجيئه.

أولا، قليل من التاريخ: في مرة واحدة فقط هبط معدل المواليد في الولايات المتحدة تحت مستوى تعويض السكان، وذلك في أثناء الكساد، عندما انكمش الاقتصاد إلى النصف، وكان ربع عمال أمريكا بدون عمل، وخرج الكثيرون منهم إلى الشوارع. والتشاؤم، وهو إحساس باليأس، وبأن الأيام الجميلة قد ولت ولن تعود ثانية أبدا، يمكن على ما يبدو أن يؤثر في الخصوبة القومية. وقد ولد الجيل الصامت في الثلاثينيات من ١٩٣٠، وهو مجموعة صغيرة نسبياً وهو الجيل الوحيد في القرن العشرين الذي لم يأت منه رئيس.

وبدأ ازدهار ولادة الأطفال الذي جاء بعد الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٤٦، وبلغ الذروة في العام ١٩٥٧، ثم أُحبط في العام ١٩٦٤. ولكن، وبالضبط، عندما كان جيل الحرب العالمية الثانية قد

obeikandl.com

انتهى من إنجاب الأطفال، وفي الوقت الذي كان أطفال الازدهار في الولادات أنفسهم قد أوشكوا أن يبدؤوا بالانجاب، تم اكتشاف طريقة جديدة أكثر ملاءمة وراحة لمنع الحمل.

قد يأتي يوم يسمى فيه المؤرخون "حبة منع الحمل" باسم قرص انتحار الغرب. وقد بدأ الترخيص لها في العام ١٩٦٠. وبحلول العام ١٩٦٣ كان ٦٪ من النساء الأمريكيات المتزوجات يستعملن اختراع الدكتور روك، وبحلول العام ١٩٧٠ كانت ٤٣٪ من النساء يعتمدن "على الحبة."[١] وعندما قام الكاثوليك يناقشون بغضب شديد أخلاقية منع الحمل وعندما أصدر البابا بول السادس توجيهه الكنسي عن الحياة الإنسانية - وهو التوجيه الذي صرح بأن جميع منع الحمل الاصطناعي أمر لا أخلاقي بالنسبة للكاثوليك، بما في ذلك حبة منع الحمل- فجأة ظهرت قضية أخطر.

شري فينكباين الشخصية التي تظهر في تلفزيون أريزونا، وهي أم متزوجة ولها أربعة أطفال، وتناولت عقار ثاليدومايد، وهو العقار الذي سبب تشوهات للأطفال في أوروبا، علمت بأنها حامل. ولم تكن السيدة فينكباين ترغب في إنجاب طفل مشوه وأسرّت إلى أصدقائها بأنها كانت ترغب في إجهاض الجنين. وعندما تسربت الأخبار تعرضت السيدة فينكباين للتهديدات من بعضهم بينما عرض الآخرون أن يقوموا بتربية الطفل إن هي قامت بحمله إلى

مدة الولادة. ونظرا لأن الإجهاض كان ما يزال ضد القانون فقد نشأ نقاش قومي ملتهب. ولكن السيدة فينكباين طرحت القضية بأن طارت إلى السويد وأجهضت الطفل.

وعلى كل حال، فبحلول العام ١٩٦٦ كانت قضية فنكباين قد صارت تاريخا قديما، وذلك لأن ستة آلاف (٦٠٠٠) إجهاض كانت تجري في كل عام. وبحلول العام ١٩٧٠ قفز ذلك الرقم إلى مائتي ألف (٢٠٠,٠٠٠) إجهاض عندما وقع روكفلر حاكم ولاية نيويورك وريجان حاكم كاليفورنيا أكثر قوانين الإجهاض تحررا في أمريكا.[٢] وبحلول العام ١٩٧٣ كانت تتم ستمائة ألف (٦٠٠,٠٠٠) عملية إجهاض.[٣] وفي ذلك العام، صرحت المحكمة العليا، وفيها ثلاثة قضاة من أربعة سماهم الرئيس نيكسون وافقوا على ذلك، صرحت بأن حق المرأة في الإجهاض حق يحميه الدستور. وفي غضون عقد من الزمان حلق عدد الإجهاضات إلى مليون ونصف (١,٥) إجهاض في السنة، وحلت الإجهاضات محل عمليات استئصال اللوزتين بوصفها أشيع عملية جراحية في أمريكا. ومنذ قرار القاضي بلاكمون أجريت أربعون (٤٠) مليون عملية إجهاض في الولايات المتحدة. إن ثلاثين بالمائة من مجموع حالات الحمل الآن تنتهي على طاولة في مستوصف إجهاض.

في العام ٢٠٠٠ وافقت إدارة الأغذية والأدوية على عقار

الإجهاض آر يو - ٤٨٦، وهو عقار من نوع أجهضي نفسك بنفسك من أجل استخدامه في الأسابيع السبعة الأولى من الحمل. ونظرا لأن الشركات الأمريكية لا ترغب في أن يرتبط اسمها بعقار آر يو - ٤٨٦ فقد بدأت شركة تقيم في الصين بإنتاج هذا العقار بهدوء. وقد يصف المتشككون دور الصين في إنتاج العقار آر يو -٤٨٦ ليستهلك في أمريكا بوصفه عملا في المساعدة على الانتحار لإحدى الأمم التي تسد الطريق على بكين من أجل الهيمنة الآسيوية ولتكون قوة عالمية.

قضية رو. ضد. ويد. (*) (Roe v. Wade) وضعت مظلة دستورية فوق حق المرأة في الإجهاض. ومع ذلك فإن ذلك القرار بنفسه لا يفسر التغيير الهائل في مواقف النساء الأمريكيات والغربيات. ما الذي جعلهن معاديات إلى تلك الدرجة لفكرة الحمل والأمومة بحيث أنهن فضلن أن يجهضن، وهو فعل كانت جداتهن

(*) قضية رو ضد ويد، ومعها قضية دو ضد بولتون، نظرتا في العام ١٩٧٣ أمام المحكمة العليا الأمريكية برياسة القاضي بلاكمون . وقضت بأنه لا يحق للولايات أن تمنع الإجهاض في الشهور الستة الأولى من الحمل، وأن الجنين ليس " شخصا " محميا بالتعديل الرابع عشر من الدستور الأمريكي، وأن ذلك التعديل يحمي المرأة من تدخل الولاية في قرارها هل تحمل طفلا أم لا، ولكن القاضي بلاكمون أكد أن الحق بالإجهاض ليس مطلقا . فبعد أول ثلاثة شهور يحق للولاية أن تنظم هذا الحق لأسباب صحية، وبعد ستة شهور يحق للولاية أن تمنع الإجهاض إلا في الحالات التي تكون فيها صحة المرأة معرضة للخطر .

وأجدادهن ينظرون إليه بصفته فعلا شيطانيا معاديا لله وللإنسان؟ في الخمسينيات من ١٩٥٠ لم يكن الإجهاض جريمة فقط بل كان عملا مشينا أيضا. ولم يكن هناك أدنى ضجة لجعله عملا شرعيا. ومع ذلك، فبعد خمسة عشر عاما تلت، أعلن قرار المحكمة العليا الإجهاض حقا دستوريا وقوبل بالترحيب بصفته قرارا شكل علامة على الطريق في التقدم الاجتماعي. إن تحولا ثوريا قد وقع في معتقدات عشرات الملايين من الأمريكيين. أمر من أمرين حدث: إما أن تكون الستينيات من ١٩٦٠ قد دقت إسفينا أخلاقيا بيننا، وإما أن الستينيات من ١٩٦٠ كشفت كسرا أخلاقيا كان موجودا، ولكننا فشلنا في أن نراه ونتعرف إليه. أما أنا فاعتقد أن الأمر الأول هو الصحيح. ففي ذلك العقد المحوري من القرن العشرين الماضي تحولت شريحة ضخمة من شباب أمريكا إلى طريقة جديدة من التفكير، والاعتقاد، والمعيشة.

من العام ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥ شهدت أمريكا ما يسميه علماء الاجتماع باسم " العصر الذهبي للزواج، " عندما هبط متوسط العمر للزواجات الأولى ليسجل انخفاضات لكلا الجنسين الرجال والنساء، ووصلت نسبة البالغين الذين تزوجوا نسبة فلكية وصلت ٩٥٪. إن أمريكا ايزنهاور وجون ف. كيندي كانت أمة نابضة

وحركية. ولكنها فقدت هذه الصفات، كما يقول ألن كارلسون، وهو رئيس مركز هوارد للأسرة والدين والمجتمع:

> جميع المؤشرات على ازدهار الأسرة انعكست فجأة في هذه البلاد [الأمم الغربية] في أثناء الفترة القصيرة من ١٩٦٣ - ١٩٦٥. واستأنفت الخصوبة هبوطها، نازلة إلى مستويات تحت النمو - الصفر، وبدأ تراجع ضخم عن الزواج، وبدت المجتمعات الغربية وهي تفقد كل إحساس بنظام الأسرة الموروث.[٤]

ويتتبع عالم السكان الهولندي ديرك فان دو كا الظاهرة ويعيدها إلى أربعة تحولات: (أ) انتقال من العصر الذهبي للزواج إلى فجر عصر جديد من التساكن. (ب) انتقال من زمن "الطفل - الملك" مع الأبويين إلى زمن الأبوين الملوك مع طفل واحد. (ج) انتقال من منع الحمل الوقائي، ليفيد الأطفال الأوائل، إلى منع الحمل لتحقيق الذات، ليفيد منه الوالدان. (د) انتقال من نظام أسرة موحد إلى نظام متعدد من الأسر والبيوت، بما في ذلك عائلات الوالد الواحد.[٥]

وبما أن هبوط معدل الولادات بدأ في منتصف الستينيات من ١٩٦٠ فإن هذا هو الموقع الذي ينبغي أن نحفر فيه لنكشف الأسباب الكامنة تحت هذا التحول العميق الشامل في موقف النساء الأمريكيات والغربيات بعيدا عن إنجاب الأطفال. ما هي

الأفكار التي جاء بها أطفال ازدهار الولادات عند نضجهم؟ وما هي الأفكار التي تشربوها في الكليات الجامعية؟

وصل أطفال ازدهار الولادات إلى الحرم الجامعي في خريف العام ١٩٦٤. وكانوا أول جيل أمريكي له الحرية في اختيار الكيفية التي يريد أن يعيش حياته بها. في الثلاثينيات من ١٩٣٠ كان الدخول إلى الكلية امتيازا لا يقدر عليه إلا قلة فقط. والقرارات العائلية كانت تفرضها الصعوبات العائلية. فلو أن رب الأسرة خسر وظيفته فإن على الأبناء والبنات أن ينسوا موضوع الدخول إلى الكلية، كان عليهم أن يغادروا المدرسة وأن يجدوا أعمالا لهم. كان عشرات الملايين مازالوا يعيشون في مدن صغيرة في أمريكا الريفية حيث كان الكساد قد ضرب المزارع منذ وقت طويل قبل انهيار ١٩٢٩ الذي ضرب وول ستريت. بعد بيرل هاربر كانت الحرب واقتصاد الحرب هي التي صنعت قرارات المسار الوظيفي لشباب أمريكا. والجيل الصامت من الخمسينيات من ١٩٥٠ نشأ مع الوالدين والمعلمين ورجال الدين الذين كانوا جميعا ما يزالون يشكلون شخصيات ذات سلطة . ولم يكتشف البروفسور غالبرايث حتى العام ١٩٥٧ أننا كنا نعيش في مجتمع اليسر.

ولكن الآباء الذين وقعوا تحت معاناة الكساد والحرب كانوا مصممين على تجنيب أبنائهم تلك المعاناة وكانوا يقولون "لن يصاب

ابني بها على درجة القسوة نفسها التي أصبت أنا بها." وهكذا فأطفال ازدهار الولادات ترعرعوا بشكل مختلف، وقضوا تقريبا أمام التلفاز عددا من الساعات يعادل ما قضوه في المدرسة. ومع حلول منتصف الخمسينات من ١٩٥٠ كان هناك منافس خطير للآباء على انتباه أطفالهم، وكان لدى الشباب حليف مسل وذكي، وهو ملاذ آمن مميز للتراجع إلى أحضانه في الصراع الطويل ضد الوالدين. والرسالة التي جاءت من التلفاز، خصوصا من الإعلانات، كانت تقدم إرضاء فوريا.

ومع حلول عام ١٩٦٤، وهو عام ماريو سافي(*) وحركة التعبيرالحر(*،*) عن الرأي في بيركلي، عندما وصلت أول موجة من أطفال ازدهار الولادات إلى الحرم الجامعي، من الذين لم يعرفوا الصعوبات أو الحرب، كانت موجة جاهزة لإحداث الهزة. وعلى

(*) من قادة الحركة الطلابية التي بدأت في صفوف طلاب جامعة كاليفورنيا . وبلغت الحركة ذروتها باحتلال الطلاب قاعة كبيرة، وقامت الشرطة بإنهاء الاحتلال في ٣ديسمبر بناء على أوامر حاكم الولاية إدموند براون، سحب أكثر من ثمانمائة (٨٠٠) طالب خارج القاعة، واعتقل نحو سبعمائة واثنين وثلاثين (٧٣٢) طالبا من المعتصمين الجالسين . وكان هذا أوسع اعتقال في التاريخ . ويؤرخ إخماد مظاهرة كاليفورنيا لبداية مدة طويلة من الاضطراب داخل ساحات الحرم الجامعي، وهو الاضطراب الذي سيتحول إلى حركة مناهضة للحرب .

(*،*) حركة التعبير الحر نادت بالحق في التعبير عن الرأي علانية أمام الجمهور بدون رقابة أو تحديد من قبل الدولة .

الرغم من أن أعمال الشغب والتمردات التي قام بها الطلاب قد ألقي فيها اللوم على الرئيسين ليندون جونسون ونيكسون وعلى أغنيو وفيتنام، فإن هذا التفسير لن يصلح. وذلك لأن تمردات الطلاب لم تقتصر على أمريكا. واندلعت عبر أوروبا بل وفي اليابان أيضا. وفي الوقت الذي مزقت فيه أيام الغضب من العام ١٩٦٨ الحزب الديمقراطي في شوارع شيكاغو، فإن الطلاب التشيكيين الذين صنعوا ربيع براغ كانوا يواجهون الدبابات الروسية، وكان يجري إطلاق النار على الطلاب المكسيكيين في شوارع العاصمة، وكان الطلاب الفرنسيون قد أوشكوا تقريبا أن يستولوا على باريس من الجنرال ديغول.

فالذي يملكه أطفال ازدهار الولادات بشكل مشترك مع معاصريهم في الخارج لم يكن هو فيتنام، بل هو أعدادهم، واليسر، والأمن، والحرية، والمثال المتلفز لأقرانهم في جميع أنحاء العالم. وفي طفولتهم كان لديهم جميعا راعية الأطفال نفسها، وهي التلفاز - وهي راعية أطفال أكثر تسلية من الوالدين. ورسالتها الإعلانية الدؤوب كانت هي ذاتها: "أيها الأطفال! أنتم تحتاجون إلى هذا- الآن!"

مع ملايين من الشابات "المتحررات" من سلطة الآباء والمعلمين والواعظين من رجال الدين، ومع توافر النقود لصرفها، ومع انهيار السلطة البديلة للوالدين المتمثلة في الأساتذة والعمداء، انساحت الثورات في كل ساحات الحرم الجامعي: الحركة المناوئة للحرب ("هيه، هيه، ال بي جيه (ليندون بينس جونسون) / كم طفلا قتلت اليوم؟" و"هو، هو، هوشي منه، / جبهة التحرير الوطني إن إل إف سوف تربح!") وثورة المخدرات ("خذ المخدر، وانسجم، وانسحب") والثورة الجنسية ("مارس الحب، وليس الحرب").

ثم جاءت حركة النساء، وكانت وفق نموذج حركة الحقوق المدنية، وكسبت أتباعا حتى في أمريكا الوسطى. ومثلما طالب السود بحقوق متساوية مع البيض فقد طالبت النساء بالحقوق نفسها مثل الرجال. ولا شيء أقل من المساواة التامة. وتساءلن إذا كان الشباب يستطيعون ممارسة الاستمتاع وسوء السلوك في الجمعيات الأخوية في الكلية وفي بارات العزاب مع علاقة جنسية لمرة واحدة بالمناسبة، فلماذا لا نستطيع نحن؟ ولكن بما أن الطبيعة لم تصمم الجنسين على تلك الطريقة، وكانت نتائج الغواية والعهر تحملها النساء على نحو غير متساو في شكل أطفال، لم يكن بد إذن من إيجاد الحلول. وقام سحر السوق بعمل الباقي. فإذا نسيتِ أن تأخذي الحبة أو أن مانع الحمل لم يعمل، فإن الاختصاصي المحلي للإجهاض لن يفشل.

وانهارت أحكام العقوبات القديمة ضد الزنا وتعديده. وتمت معالجة عقوبات الطبيعة - وهي الحمل غير المرغوب فيه والخوف من المرض- بحبة منع الحمل، وبالإجهاض المتوافر، وبعقاقير جديدة تفعل فعل المعجزة. لا حاجة للزواجات المفروضة فرضا. ورحلة واحدة بعين دامعة إلى مركز حقوق الإنجاب تقوم بالواجب وتنهي العمل. والخوف من وصمة العار الاجتماعية -خسارة السمعة- قد تم محوها بثقافة شعبية احتفت بالثورة الجنسية وصفقت للفتيات باسم "متخذات الأخدان رغم الزواج، Swingers" وكن يدعين في الأربعينات من ١٩٤٠ و الخمسينات من ١٩٥٠ بأسماء أقل جاذبية. والعقوبات الأخلاقية -الإحساس بالخجل والمعصية، وخرق قانون الله تعالى، وتعريض روح الإنسان الخالدة للخطر- كلها سُهلت بصنف جديد من الرهبان ورعاة الكنيسة الذين يعلّمون "هل أنت تركض معي أيها المسيح؟" والذين كسبوا شعبية كبيرة عن طريق القول بأنه هو (أو هي) لم يكن ذلك النوع من الإله "المصدّر للأحكام" ثم إن "جهنم مجاز فقط!"

ولم تنهر العقوبات القديمة فقط، بل إن طريقة جديدة لقياس الأخلاقيات ظهرت لتبرر بل لتعطي قدسية لمقولة "أن يعمل المرء ما يخصه." وتحت القانون الجديد كانت الأخلاقيات الآن تتقرر لا بحسب من نام مع من أو من استنشق ماذا - وهي مسائل تافهة من الإيثارات الشخصية !- بل تتقرر الأخلاقيات وفق من ذهب إلى

الجنوب من أجل الحقوق المدنية، ومن احتج ضد التمييز العنصري، ومن قام بمسيرات ضد "الحرب القذرة اللا أخلاقية" في فيتنام. وكما كان صحيحا في الغالب في التاريخ فإن قانونا أخلاقيا جديدا قد صُنع ليبرر نمط الحياة الجديدة وهو النمط الذي كان قد تم تبنيه من قبل. وفي حين كان شباب اليعاقبة، الشباب اليساري المتطرف، ينغمس في الجنس، والمخدرات، وأعمال الشغب، ورقص الروك أند رول فإن هؤلاء الشباب كان لديهم من يطمئنهم بشأن انغماسهم هذا وكان الديوثون الكبار يقولون نعم، في الحقيقة، "هذا هو أروع جيل من الشباب سبق لنا أن أنجبناه." ألم يكن هذا الأمر دائما كذلك مع الثورات؟ لقد غمغم وردسورث العظيم في ثورة أكبر من هذه وانتهت نهاية سيئة نوعا ما وقال: "كانت سعادة للمرء أن يكون حيا يعيش في ذلك الفجر/ أما أن يكون فيه شابا فهو الفردوس بعينه!".

في الستينيات من ١٩٦٠ اجتاح جميع ساحات الحرم الجامعي أمران هما التمرد الطلابي والثورة الثقافية. وعندما تخرج المتمردون، وحصلوا على وظائف وأعمال، وتزوجوا، توقفوا عن أن يكون متمردين، وأخذوا مواقع آبائهم في البلاد وصوتوا لصالح رونالد ريجان، على الرغم من أن الأمر استغرق بالنسبة إلى بعضهم وقتا ربما كان أطول -رئيسنا يعود إلى الذهن مما استغرقه بالنسبة إلى الآخرين لكي "ينفصل."

ولكن متمردي الستينيات لم يكونوا هم الثوريين. المتحولون للثورة جاؤوا إلى الكلية وهم يفكرون ويعتقدون بطريقة معينة وتركوا الكلية وهم يفكرون ويعتقدون بطريقة مختلفة اختلافا كاملا غيرت حياتهم كاملة. إن هيلاري رودهام، فتاة غولد ووتر التي جاءت إلى بلدة ويلزلي في العام ١٩٦٥ وغادرتها وهي راديكالية اجتماعية في العام ١٩٦٩، وتحمل معها قيما جديدة ونظام أخلاق جديدا، وإرادة فولاذية على تغيير المجتمع الفاسد الذي ترعرعت ونشأت فيه، إن هيلاري هذه مثال جيد على الثوري مثلما أن السيد بوش هو المثال على المتمرد.

إن الثورة الثقافية التي اكتسحت كل ساحات الحرم الجامعي في أمريكا كانت ثورة حقيقية. ففي ثلث قرن رفضت الملايين النظام الأخلاقي اليهودي المسيحي الذي تحدته تلك الثورة. وإن العداء لأمريكا أوزي -و- هاربيت كان قد دخل في روع نخبنا الثقافية، ومن خلال هيمنتهم على رأينا وعلى مؤسسات تشكيل القيم عندنا - الفيلم، والتلفاز، والمسرح، والمجلات، والموسيقى- نشر هؤلاء المبشرون بالثورة إنجيلهم في كل أنحاء العالم وحولوا إليهم عشرات الملايين.

نحن أمريكيتان: الأم أنجليكا وموعظة يوم الأحد تتنافسان مع آلي مكبيل والجنس والمدينة. والرسالة التي تبعث بها الثقافة المسيطرة ليلا ونهارا تعطي رد فعل من الضحك الساخر المستهزئ بالفكرة القديمة التي ترى أن الحياة الطيبة للمرأة تعني زوجا وبيتا

مليئا بالأطفال. وهناك الآن قوى جديدة متضافرة قوية في المجتمع تجر النساء الأمريكيات أيضا بعيدا عن جناح الأمومة إلى الأبد.

obeikandl.com

(أ) **الاقتصاد الجديد.** في الاقتصاد الزراعي كان مكان العمل هو البيت حيث كان الزوج والزوجة يعملان معا ويعيشان معا. وفي الاقتصاد الصناعي غادر الرجل البيت للعمل في المصنع، بينما بقيت زوجته في البيت لتعتني بالأطفال. الاقتصاد الزراعي أعطانا الأسرة الممتدة، والاقتصاد الصناعي أعطانا الأسرة النووية. أما في الاقتصاد ما بعد الصناعي فإن الزوج والزوجة كليهما يعملان في المكتب، وليس هناك من يمكث في البيت مع الأطفال. وفي الحقيقة قد لا يكون هناك أي أطفال. وكما يكتب أستاذ العلوم السياسية جيمس كيرت من سوارثمور ويقول:

> كانت أعظم حركة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي حركة الرجال من المزرعة إلى المصنع... وكانت أعظم حركة في النصف الثاني من القرن العشرين هي حركة النساء من البيت إلى المكتب ... [هذه] الحركة تفصل الوالدين عن الأطفال، وهي تمكن الزوجة كذلك أن تفصل نفسها عن زوجها. وبهذا الشق للأسرة النووية فإن الحركة تساعد على أن تجيء ببديل يستبدل بالأسرة النووية اللاأسرة.[٦]

وفي الوقت الذي لم تبق فيه وظائف الرجال في التصنيع، والتعدين، والزراعة، وصيد الأسماك مطلوبة، أو هي قد شحنت لما وراء البحار، فإن مهارات النساء ومواهبهن هي الآن مرغوبة أكثر. وهناك أيضا فرص في الحكومة، والتعليم، والمهن المفتوحة للنساء اليوم والتي لم تكن قطعيا مفتوحة لأمهاتهن وجداتهن. فالأعمال التجارية، الكبيرة منها والصغيرة تعرض عروضا متكاملة من الراتب والمنافع لاجتذاب النساء الموهوبات وإخراجهن من بيوتهن والاحتفاظ بهن بعيدا عن جناح الأمومة، حيث يصرن إن دخلن في هذا الجناح "غير صالحات للشركة."

وهذه الخطة تعمل بنجاح. فبعشرات الملايين غادرت النساء الأمريكيات بيوتهن إلى المكاتب ليعملن إلى جانب الرجال ولينافسوهم. وبعشرات الملايين أجّلت النساء خريجات الكليات الزواج، والعديدات منهن أجلنه إلى ا لأبد. ويقال للمرأة العصرية "يمكنك أن تحصلي على الاثنين معا كليهما!" -الطفل والمسار الوظيفي. ومع وجود مربيات الأطفال، والتلطف بالحدود المفتوحة، والراتب المتساوي مقابل العمل المتساوي، وإجازة الأمومة، والرعاية النهارية، والمجاملة من الحكومة والشركة، فإن الإغراء بتلك المقولة لا يبقى كذبة. إن الذي لا تستطيعين عمله هو أن يكون لديك عدد كبير من الأطفال في البيت في الوقت الذي تحافظين فيه على التنافس في المكتب.

أما وقد قسر النساء على الاختيار فقد اخترن المسار الوظيفي، أو المسار الوظيفي وسعادة الأمومة، لمرة واحدة. ويعمل الاقتصاد المعولم يدا بيد مع الاقتصاد الجديد، فهو ينقل وظائف التصنيع من الأمم الغربية عالية الأجور إلى الأمم المصنعة حديثا المنخفضة الأجور في آسيا وفي أمريكا اللاتينية. ويجعل طريق أمريكا من الطوب الأصفر(*) يصل إلى الطبقة الوسطى نزولا إلى مسار واحد، كان يتوجب على الزوجات أن يعملن ليحافظن على مستواهن مع آل جونزفي البيت الذي يلي. وهكذا فقد تأجل إنجاب الأطفال، وفي بعض الأحيان يكون هذا هو الأفضل. في العام ١٩٥٠ مكثت في البيت نسبة ٨٨٪ من النساء ذوات الأطفال تحت سن السادسة لأنهن كان لديهن في الغالب أطفال أكثر. واليوم فإن نسبة ٦٤٪ من النساء الأمريكيات ذوات الأطفال تحت سن السادسة هن في قوة العمل.[٧]

لقد قيل عن جنود الحرب العالمية الأولى الذين ذهبوا إلى أوروبا: "كيف ستحتفظ بهم في المزرعة بعد أن رأوا باريس؟" حسنا، ويمكن للمرء أن يسأل كيف ستحتفظ بهن في الضواحي بعد أن رأين مقاطعة كولومبيا «دي سي»؟ وذلك السؤال عن النساء الموهوبات اللواتي يعملن محاميات وصحافيات واختصاصيات

(*) طريق الطوب الأصفر: يشير إلى ما حدث في بلدة سيدان في كنساس. ففي عام ١٩٨٨م انهار اقتصاد البلدة فاستغلت قصة فلم جاء ذكر البلدة فيه. ورصفت شوارعها مثلما ظهرت في الفلم «طريق الطوب الأصفر» وهو الأمر الذي جذب السياحة وأنقذ الاقتصاد المتعثر.

علاقات عامة ومساعدات سياسيات بعد أن استمتعن باللعبة العظيمة في مدينة مثيرة.

وقد كتبت إلينور ميلز في صحيفة سبكتيتر، وميلز هذه صوت أصيل عن جيلها، فقالت: "الحقيقة أن البنات أمثالي -أي، من النساء اللواتي يتمتعن بالصحة، والحيوية، ومن الطبقة الوسطى وفي العشرينات من أعمارهن- لا ينجبن."[٨] ولماذا لا ينجبن؟ وتجيب ميلز لأن من سوء الحظ، أن "الشغل الشاغل لجيلي هو التوأمان: المظهر المادي الحسن، والمال."[٩] وتقتبس ميلز من واحدة من معاصراتها الكثيرات اللواتي يعشن بلا أطفال فتقول:

> قالت لي جين، وهي مديرة إعلانات، بتفكر "لو كان لي طفل ما كنت قادرة على أن أعمل نصف الأعمال التي اعتبرها مسلمة بديهية. ففي كل يوم سبت عند الساعة ١٠,٣٠ صباحا عندما أكون أنا وزوجي ما نزال في الفراش ينظر أحدنا إلى الآخر ونقول: « الحمد لله أننا لم نستيقظ في الساعة الخامسة صباحا لنعتني بطفل مدلل». إننا سنتمتع وحدنا بوقت عظيم، ومن يعلم أن حياتنا سوف تستمر على ما هي عليه لو أننا أدخلنا شخصا آخر إلى المعادلة؟"[١٠]

قال إف سكوت فيتزجرالد: "الأغنياء يختلفون عنك وعني." وقد أجاب همنغواي على هذا بقوله: " نعم، إنهم يملكون مالا أكثر." ولكن الأغنياء أيضا يملكون أطفالا أقل. وباستخدام قاعدة

أوكام(*) التي تقول إن - التفسير الأبسط هو عادة التفسير الصحيح - فقد يكون أفضل تفسير لهبوط معدل الولادات في الغرب هو أبسط تفسير. فعندما يدخل فقراء أمريكا إلى الطبقة الوسطى، وعندما تصير الطبقة الوسطى ميسورة، وعندما تصير الطبقة الميسورة غنية، فإن كل طبقة من هذه الطبقات تتبنى نمط الطبقة التي دخلت إليها مؤخرا. والجميع يبدؤون بتقليل حجم أسرهم، والجميع يبدأون بإنجاب أطفال أقل. ويتبع ذلك استنتاج هو: أن أغنى الأمم تصير هي أقل الأمم أطفالا، وتصير هي أسرع الأمم في بدء الموت فيها. إن المجتمعات المنظمة لتضمن المتعة القصوى، والحرية، والسعادة لجميع أعضائها، هي في الوقت نفسه، المجتمعات التي تقدم تاريخ تشييع جنازاتها. وقد يعوض القدر شعوب الصين، والشعوب الإسلامية، والشعوب اللاتينية عن مصاعبهم وفقرهم في هذا القرن بأن يمنحهم الهيمنة على الأرض في القرن التالي. وفي الحقيقة ألسنا نملك هذا القول في مرجعية عالية "مباركون هم المتواضعون ... فإنهم سيرثون الأرض؟"

(*) تنسب إلى وليام أف أوكام على رغم أنها استخدمت من قبل المفكرين المدرسيين. وينص هذا المبدأ على أنه لا ينبغي للشخص أن يزيد أكثر من الضروري في عدد العناصر اللازمة لتفسير أي شيء، أو أن على الشخص ألا يتخذ من الافتراضات أكثر من الحد الأدنى اللازم. وكان يسمى هذا المبدأ في الغالب مبدأ البخل. ومنذ العصور الوسطى لعب دورا هاما في استبعاد العناصر الخرافية أو غير الضرورية للتفسيرات.

(ب) نهاية "راتب الأسرة." في الثلاثينيات من ١٨٣٠ عندما كانت الثورة الصناعية الأمريكية على وشك أن تبدأ، حذر اتحاد التجارة في فيلادلفيا أعضاءه بشأن الخطة الخبيئة لما سماه "رأس المال الجشع" فقال:

> عارِضوا [استخدام نسائنا] بكل عقولكم وبكل قوتكم لأن استخدامهن سيبرهن على أن فيه خرابنا. يجب أن نكافح من أجل الحصول على أجور كافية في مقابل عملنا من أجل إبقاء زوجات شعبنا وبناته وأخواته في بيوتهن ... إن رأس المال الجشع سوف يجعل كل رجل وكل امرأة وكل طفل يكدح، ولكن دعونا نبذل الجهد مع أسرنا لكي تعارض مخططاته.[١١]

وفي العام ١٨٤٨، وهو عام البيان الشيوعي لكارل ماركس، فإن مطبوعة العمل المطالبة بعشر ساعات كتبت في افتتاحيتها: "نأمل بألا يكون بعيدا اليوم الذي سيكون فيه الزوج قادرا على توفير العيش لزوجته وأسرته بدون إرسال [الزوجة] لتعاني من العمل الشاق في محالج القطن."[١٢]

هذه الرؤية عن العمل الأمريكي الحر كانت في حرب مع وجهة النظر التي كان يتبناها ماركس وحاميه والمتعاون معه فريدريك أنغلز الذي كتب في أصول الأسرة، والملكية الشخصية، والدولة، وقال: "أول شرط لتحرير الزوجة هو أن نحضر كل الجنس الأنثوي

إلى الصناعة العامة وهذا ... بدوره يتطلب إلغاء أسرة الزواج الآحادي بصفتها الوحدة الاقتصادية للمجتمع."[١٣] أليست مصادفة متطابقة عجيبة كيف أن وجهة النظر الرأسمالية العولمية عن النساء -بوصفهن وحدات انتاج، محررات من الأزواج، والبيت، والأسرة- تنسجم إلى هذا القدر من الدقة مع وجهة نظر آباء الشيوعية العولمية؟

وكذلك يكتب ألن كارلسون، الذي ينشر أيضا الأسرة في أمريكا، ويقول كان هناك إجماع في أمريكا، وليس من وقت طويل جدا، على أنه يتوجب على أرباب العمل أن يدفعوا للآباء "راتب أسرة" كافيا لدعم زوجاتهم وأطفالهم بكرامة بدون أن يكون على الزوجات والأطفال أن يغادروا البيت إلى العمل.[١٤] وكانت تلك الصفة تعتبر إحدى الصفات التي تحدد معالم المجتمع الجيد.

وقد احتفظ تعميم البابا ليو الثالث عشر الذي أصدره في العام ١٨٩١ بالقدسية لهذه الفكرة تحت عنوان **التربية الجديدة**. وفي كتب من مثل كتاب راتب معيشة دافع الناقد الاجتماعي الكاثوليكي الأب جون ريان عن الفكرة وشدد على الحاجة إلى أن نضفي الصبغة "الأخلاقية"على عقد الراتب لحماية البيت.وكتب الأب ريان "للدولة الحق وعليها الواجب معا أن تجبر أرباب العمل كلهم على أن يدفعوا راتب معيشة."[١٥]

وكانت هذه الفكرة مقبولة على نطاق واسع. ويلاحظ كارلسون أن "فجوة الراتب " بين الرجال والنساء اتسعت في الواقع بعد الحرب العالمية الثانية. في العام ١٩٣٩ كسبت النساء ٥٩,٣٪ من رواتب الرجال، ومع حلول العام ١٩٦٦ هبطت النسبة إلى ٥٣,٦٪.[١٦] في الأربعينيات من ١٩٤٠ وفي الخمسينيات من ١٩٥٠فصلت الثقافة، وبضمير طيب، بين الرجال والنساء في مكان العمل. وفي الصحف كانت الإعلانات التي تقول "مطلوب رجال" تعلن منفصلة عن الإعلانات التي تقول "مطلوب نساء". وفي النادر فقط كان بالإمكان أن توجد نساء عاملات خارج أعمال من مثل كاتبة طابعة آلة، أو أمينة سر، أو ممرضة، أو معلمة مدرسة أو فتاة مبيعات. ويكتب كارلسون:

> بالنسبة إلى مراقب من العام ٢٠٠٠، فإن أعجب شيء عن هذا النظام هو أنه كان مفهوما من متوسطي الناس وكان مدعوما شعبيا أيضا. وفي استطلاعات الرأي فإن أكثريات كبيرة من الأمريكين (٨٥ ٪ أو أكثر)، رجالاً ونساء وافقوا على أن الآباء استحقوا دخلا يساند زوجاتهم وأطفالهم في البيت وأن عمل الأمهات كان ثانويا أو متمما. وكان هذا الموقف يُرى على أنه عدالة بسيطة.[١٧]

في الستينيات من ١٩٦٠ تصدع هذا النظام عندما نجحت العاملات في الحركة النسوية في إضافة "الجنس" إلى التمييزات الممنوعة بموجب قانون الحقوق المدنية الكاسح في العام ١٩٦٤،

وهو القانون الذي سبق أن كتب لحماية حقوق الأمريكيين الأفريقيين. وهذا الأمر حوّل لجنة الفرصة المتساوية في التوظيف إلى مدفع حصار ضد راتب الأسرة. وصار ينظر إلى الإعلانات التي تقول "مطلوب رجال" على أنها إعلانات تمييزية ومخالفة للقانون. وحلت مساواة الجنس محل "العقد الأخلاقي." وأخذت حقوق الأفراد الأسبقية على متطلبات الأسرة. وحَلّقت رواتب النساء عاليا، وفي الوقت الذي بدأت فيه النساء يدخلن إلى أعمال كانت في الماضي مقصورة إلى حد كبير على الرجال- الطب، والقانون، ووسائل الإعلام، والجامعات، والبيروقراطية العليا، والأعمال التجارية - بدأت الأُسر تنهار.

ويكتب الدكتور كارلسون ويقول: بين العام ١٩٧٣ والعام ١٩٧٦، إن المتوسط "[الحقيقي] لدخل الرجال من عمر ١٥ فأعلى، ويعملون كامل الدوام، هبط ٢٤٪، من ٣٧,٢٠٠ دولار إلى ٣٠,٠٠٠ ألف دولار."[١٨] ومع السير تحت أعلام الحركة النسوية التي تقول - راتب متساوٍ من أجل عمل متساوٍ، راتب متساوٍ من أجل عمل مقارن- انتقلت النساء إلى المنافسة المباشرة مع الرجال. ونجحت ملايين النساء في إزاحة الرجال جانبا بأدائهن المتفوق. وارتفعت رواتبهن بثبات، وثبت أو هبط الراتب المطلق والنسبي للرجال المتزوجين. ومع وقوع عائلات الرجال تحت الضغط، بدأ الرجال

المتزوجون بالاستسلام لإصرار زوجاتهم على أن "يعدن للعمل." ووجد الشباب أنهم لم يبقوا يكسبون ما فيه الكفاية في أواخر العشرية الثانية من أعمارهم أو في مطالع العشرينيات ليبدؤوا بتكوين أسرة، ولو كان ذلك أملهم وحلمهم. أما وقد جُرِّد هؤلاء الشباب من واجبات الأبوة والأسرة، فقد انتهى بهم المطاف إلى الوقوع في مشكلات - بل إلى الدخول في السجن.

وجدت شابات أمريكا أنهن استطعن أن يحققن الاستقلال الخاص بهن. فلا يحتجن إلى أن يتزوجن، بالتأكيد ليس بعد. وأكثر فأكثر لم يبقين راغبات في أن يتزوجن. في العام ١٩٧٠ كانت نسبة ٣٦٪ فقط من النساء اللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والرابعة والعشرين غير متزوجات. وبحلول العام ١٩٩٥ كانت نسبة ٦٨٪ ضمن صنف "لم يتزوجن مطلقا". وبين النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين الخامسة والعشرين والتاسعة والعشرين حلّقت عاليا نسبة اللواتي "لم يتزوجن مطلقاً" من ١٠٪ إلى ٣٥٪. [١٩]

إن الأسرة الشابة التي لديها عدد من الأطفال هي الآن جنس معرض إلى الخطر. إن الشباب الأغنياء فقط هم الذين يملكون القدرة على "أسلوب الحياة" ذلك، وهم غير مهتمين به. ومع كون الحزب الديمقراطي مديناً إلى حد كبير للحركة النسوية بحيث لا يستطيع ولو معارضة الإجهاضات الجزئية للولادة، ومع كون الحزب

obeikandi.com

الكبير القديم مستعبداً للإيديولوجية الليبرالية وتحت سيطرة مصالح الشركات الكبرى، فإن دعوة آلهة السوق التي تطلب المزيد من النساء العاملات تتغلب على أمر الله في سفر التكوين: "كونوا مثمرين وتكاثروا، واملؤوا الأرض."

لقد استسلم العديد من المحافظين لبدعة مذهب الاقتصادية، وهو انعكاس الماركسية الذي يرى أن الإنسان حيوان اقتصادي، وأن التجارة الحرة والأسواق الحرة هي الطريق إلى السلام، والرفاهية، والسعادة، وأننا إذا ما استطعنا فقط أن نجعل هامش معدلات الضريبة صحيحا وأن نلغي الضريبة على أرباح رأس المال، فإن الجنة - مؤشر داو ٣٦٠٠٠ ألف! - تكون في متناول اليد. ولكن عندما كان معدل ضريبة الدخل لمن هم الأغنى قد وصل فوق ٩٠٪ في الخمسينيات من ١٩٥٠، كانت أمريكا، بكل مؤشر أخلاقي واجتماعي، بلدا أفضل.

لقد رأى أورِستيس براونسون وهو متبع مسيحي مصلح راديكالي أن هذا وثنية جديدة هي "عبادة الثروة" تظهر في أمريكا في القرن التاسع عشر وقال: "عبادة الثروة صارت دين مملكة السكسون، ولم يبق الله في كل أفكارنا. لقد فقدنا إيماننا بالنبيل، والجميل، والعادل."[٢٠] وبعد قرن كتب متبع آخر متحول عن إيمان مادي فاشل ليذكرنا ثانية. كتب ويتكر تشامبرز يقول: "الاقتصاد ليس هو المشكلة المركزية لعصرنا، إنه الإيمان."[٢١]

(ج) **هستيريا "القنبلة السكانية"**. ثم كانت هناك الحركة المضادة للسكان في الستينيات من ١٩٦٠ وفي السبعينيات من ١٩٧٠، وهي رد الفعل العنيف للنخبة ضد ازدهار ولادات الأطفال، وكان معلم هذه الحركة عالم الأحياء بو ل إيرلخ من جامعة ستانفورد، وقد فعل كتابه الذي كان واحدا من الكتب الأفضل مبيعا وبعنوان القنبلة السكانية فعله في ضبط السكان مثلما كان كتاب راشيل كارسون الربيع الصامت قد فعله للبيئة. كان إيرلخ هو التجسيد في القرن العشرين لتوماس روبرت مالتوس، عالم السكان البريطاني الذي ثبت أن تنبؤه عن جوع العالم كان خاطئا على نحو هائل في القرن التاسع عشر. كتب مالتوس: "قد يكون من المأمون أن نؤكد ... أن السكان، إذا لم يضبطوا، فإنهم يزيدون وفق متوالية هندسية من طبيعتها أن تضاعف نفسها كل ٢٥ عاماً."[٢٢] وبما أن إنتاج الطعام في العالم لا يستطيع أن يضاعف نفسه كل ٢٥ عاما، كما قال ذلك القسيس المتشائم، فإن الجوع العام محتوم أمامنا لا محالة.

وقد ثبت أن مالتوس كان مخطئا بشأن إنتاج الطعام مثلما كان إيرلخ بشأن موارد العالم، وهي الموارد التي أكد لنا أنها كانت في طريقها إلى النفاد. واليوم فإن ستة بلايين نسمة على الأرض يعيشون في حرية ورفاهية أكبر بكثير مما عاشه ثلاثة بلايين نسمة في ١٩٦٠، أو بليونا نسمة في ١٩٢٧، أو بليون واحد في ١٨٣٠. إن

عدم الكفاية السياسية والإجرام، والأفكار الغبية والأيديولوجيات غير المتعقلة، هي أسباب الجوع والبؤس، وليس الناس.

وبعد أن نشر نادي سييرا كتاب إيرلخ صار هذا الكتاب قراءة مطلوبة في العديد من المدارس الثانوية. ومع حلول العام ١٩٧٧ كان وزير الدفاع السابق ورئيس البنك الدولي روبرت مكنمارا يلعب دور الفرخة هِنيّ بِنّي مع صوص إيرليخ،(*) ويحذر مكنمارا فيقول: «إن النمو المستمر للسكان سوف يتسبب في ؟الفقر، والجوع، والإجهاد، والازدحام، والإحباط» وهذا ما يهدد الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والعسكري."[٢٣]

في العام ١٩٧٨ أعلنت لجنة منتقاة من الكونجرس بشأن السكان أن "الأنظمة الحياتية الكبرى التي تعتمد عليها الإنسانية ... يجري إجهادها بالنمو السريع للسكان ... [و] في بعض الحالات فإن هذه الأنظمة ... تفقد قدرتها الإنتاجية."[٢٤] وكما تكتب جاكلين كاسون، مؤلفة كتاب الحرب ضد السكان، ففي حوالي هذا الوقت نفسه عمل معهد سميثسون "معرضا متجولا لأطفال المدارس

(*) الصوص الصغير حكاية فلكلورية فيها أنه كان في الغابة يلتقط الحب فوقع شيء على رأسه فصاح يا إلهي إن السماء ستقع ويجب أن أذهب لأخبر الملك بذلك. ومشى مستعجلا وفي الطريق قابلته الفرخة هني بني فأعلمها بقصته فذهبت معه ثم قابلوا الديك والبطة والوزة والديك الرومي وذهبوا على غير هدى حتى قابلهم الثعلب وقادهم إلى وكره ...الخ.

دُعي "السكان: المشكلة هي نحن،" «وعرض [ذلك] المعرض صورة جرذ ميت في طبق لطعام الغداء كمثال على "موارد الطعام في المستقبل".»[٢٥]

ونتيجة لهذه الدعاية المضادة للسكان من نخبة معاهد السياسة والأفكار انفجر التمويل العام لضبط السكان هنا وفي الخارج. ولكن وعلى الرغم من أن الرسالة قد أُخذت بإخلاص إلى القلب من طرف العالم الأول الغني ومن الطبقة الوسطى، فقد أُهملت إلى حد كبير من قبل العالم الثالث الفقير، وهو العالم الذي استهدفته تلك الرسالة. ونستطيع اليوم أن نرى النتائج: قحط في المواليد بين الأمم الميسورة، وازدهارات في المواليد عبر العالم الثالث.

(د) **الحركة النسوية.** أن تكون المرأة "مع حق الاختيار" بشأن الإجهاض هي اليوم تقريبا العلامة المحددة "للمرأة العصرية." وبالنسبة إلى العديدات من عضوات الحركة النسوية فإن تعبير "تحرير النساء" يعني تحريرها من الأدوار التقليدية، وبرأيهن الأدوار الضيقة المحددة لها زوجة وأماً وربة منزل. ولكن لم يكن الأمر دائما كذلك بين الأمهات المؤسسات للحركة النسوية. وعندما كان كاتب الافتتاحية الكاثوليكي جوزيف كوليسون يكتب عن قرار المحكمة العليا بشأن قضية رو ضد ويد، في ذا نيو أوكسفورد رفيو، لاحظ وقال:

نساء الحركة النسوية الأوائل كن ضد الإجهاض بشدة. وقد سمت إليزابث كادي ستانتون، منظِّمةُ أول مؤتمر لحقوق النساء في العام ١٨٤٨، سمت الإجهاض "جريمة مقززة مذلة."... وكتبت سوزان بي. أنطوني، وهي مقاتلة مبكرة من أجل تصويت النساء، تقول "لا يهم ما هو الدافع... فالمرأة التي ترتكب هذا الفعل مذنبة ذنباً هائلاً. إن هذا الفعل سوف يثقل بالعبء ضميرها في الحياة، وسوف يثقل بالعبء روحها في الممات." وفي الحقيقة لقد كانت النساء العاملات في الحركة النسوية في القرن التاسع عشر هن اللواتي خضن الحملة لسن قوانين تجرّم الإجهاض.[٢٦]

ويضيف كوليسون أن الإجهاض مر دون أن يذكر في الطبعات الأولى من السحر الأنثوي وهو العمل الأساسي لبيتي فريدان لم يكن الإجهاض قضية نسوية في مطالع الستينيات من ١٩٦٠.

فيما مضى قبل الحرب العالمية الثانية، عندما كتبت مارغريت سانغر، وهي الأم التي ولدت فكرة الأبوة المخططة، وقالت "إن أرحم شيء تستطيع أسرة كبيرة أن تعمله لأحد أعضائها المولودين حديثا هو أن تقتله، " لقد كانت اشتراكية متطرفة بعيدة خارج التيار الأمريكي الرئيسي.[٢٧] ولكن عداوة سانغر ضد الأسر الكبيرة صارت منذ ذلك الوقت الصفة المركزية للحركة النسوية الأمريكية الجديدة التي صارت هي التيار الرئيسي في الستينيات من ١٩٦٠ والسبعينيات من ١٩٧٠. واليوم فإن التصور بأن الزواج هو ارتباط

إنساني قد صار هو العلامة التي تعبر عن النساء المحاربات في الحركة .

ويكتب أندريا دووركن في كتاب الأدب العاري: الرجال يملكون النساء، أن الزواج "مؤسسة تطورت من الاغتصاب بصفته ممارسة معتادة. وقد عُرف الاغتصاب أصلا بأنه خطف صار زواجا بواسطة الأسَر. وعنى الزواج بذلك أن يمتد أخذ المرأة في الزمان، وأن لا يكون الأخذ للاستعمال فقط بل لامتلاكها ملكية."[٢٨] إنه ماركس الصرف. ويتبع ذلك استنتاج منطقي. إذ قالت ليندا غوردون الناشطة النسوية "يجب تدمير الأسرة النووية"، "إن الأسر قد ساندت الاضطهاد والجور عن طريق فصل الناس إلى وحدات صغيرة معزولة غير قادرة على الاتحاد معا للمحاربة في سبيل المصالح المشتركة."[٢٩]

في العام ١٩٧٠ أطلقت روبن مورغان، وهي الآن مربية لما يعتبر طفل الحب لغلوريا شتاينم، أي، مجلة مز (Ms) أطلقت على الزواج القول بأنه "ممارسة تشبه العبودية. ونحن لا نستطيع أن ندمر عدم المساواة بين الرجال والنساء إلى أن ندمر الزواج."[٣٠] وفي العام نفسه، نشرت مز مورغان كتاب الأخواتية قوة ويحتوي على مقالة بقلم فالري سولانيس، رئيسة جمعية مقاطعة الرجال. وكتبت مز سولانيس تقول "يمكن الآن من الناحية الفنية إنتاج النسل بدون

مساعدة الذكور ... وإنجاب الإناث فقط. يجب علينا أن نبدأ فورا بفعل ذلك. إن الذكر هو صدفة بيولوجية ... إن الذكر قد جعل العالم كوما من القاذورات."[٣١] ولم تكن مز سولانيس سيدة يعبث معها، فقد رسخت حسن نيتها بأن خرجت وأطلقت النار على آندي وورهول.

ومع أواخر عام ١٩٧٣ وزعت نانسي ليهمان وهيلين سولنجر بيانا جديدا للحركة بعنوان بيان الحركة النسوية، وقد أعيد نشر ذلك البيان على نطاق واسع ونال تقريظا واسعا وجاء فيه:

> لقد وجد الزواج لمنفعة الرجال، وكان طريقة أُقرت قانونيا للسيطرة على النساء ... يجب علينا أن نعمل على تدميره ... إن نهاية مؤسسة الزواج شرط ضروري لتحرير النساء. ولذلك فإن من المهم لنا أن نشجع النساء على ترك أزواجهن وأن لا يعشن منفردات مع رجال ... ويجب أن تعاد كتابة التاريخ كله من ناحية ظلم النساء. يجب أن نعود إلى أديان الأنثى القديمة مثل السحر.[٣٢]

وبين الناشطات في الحركة النسوية يتنافس تشبيه الزواج بالعبودية مع تشبيهه بشكل مجازي بالدعارة. وقد كتبت فيفيان غورنك، وهي أستاذة من بن ستيت ومؤلفة، كتبت في ١٩٨٠ تقول: "أن تكون المرأة زوجة في البيت هي مهنة غير قانونية. والخيار في أن تخدم وفي أن تحُمى وأن تخطط كي تكون عضوا في الأسرة

Obeikandi.com

هو خيار لا ينبغي أن يكون. إن قلب الحركة النسوية الراديكالية هو أن تغير ذلك الوضع."[33]

وقالت غلوريا شتاينم لمراسل نيوزويك في العام ١٩٨٤:[34] "لا أستطيع أن أتزاوج في الأسر." وتقتبس كريستينا سومرز من عالمة القانون كاثرين ماككنون في قطعة في العام ١٩٩١ في وول ستريت جورنال، وهي تقول: "تشدد الحركة النسوية على عدم إمكان التمييز بين الدعارة والزواج والتحرش الجنسي."[35]

بالنسبة إلى المحاربة النسوية فإن الزواج هو البغاء، والأسرة في أحسن أحوالها مؤسسة فاشلة وفي أسوأ أحوالها هي سجن أو مقر عبودية. ومنذ عقد من الزمان قالت الروائية توني مورسون إلى التايم:"الأسرة النووية الصغيرة رؤية لا تعمل."[36] وفي العام ١٩٩٤ اقتبست شيكاغو تريبيون من جوديث ستاسي قولها: "ربما يكون الاعتقاد بأن أُسَر الزوجين المتزوجين هي العليا هو أكثر الانحيازات انتشارا في العالم الغربي."[37]. وفي جويش ورلد ريفيو في شباط فبراير ٢٠٠٠ وفي قطعة عنوانها "الآن: التمويل لصالح الأبوة غير دستوري." اقتُبس قول من شيلا كرونين تقول فيه: "بما أن الزواج يشكل عبودية للنساء، فإن من الواضح أن الواجب على الحركة النسائية أن تركز على مهاجمة هذه المؤسسة. إن الحرية للنساء لا يمكن أن تكسب بدون إلغاء الزواج."[38]

إن معظم النساء الأمريكيات لا يضمرن الآن مثل هذا الرأي المرير والمعادي للزواج والأسرة. ولو كن يضمرن ذلك لكان عدد الأطفال أقل من عددهم الآن، ولكان موت الغرب صار وشيكا. ولكن الملايين متأثرون بأيديولوجية الحركة النسائية وبمعادلتها الزواج مع البغاء والعبودية، وتلك الأيديولوجية قد أقنعت العديدات بأن يؤجلن الزواج وأن لا ينجبن أطفالا. فإذا كان حفظ أصول أجداد الشعوب الأوروبية، وحفظ الحضارة الغربية التي صنعوها قد تركا بأيدي الحركة النسوية، فإن الرجل الغربي لن يكون له أي مستقبل.

الأفكار لها عواقب هو عنوان كتاب صغير مشهور للراحل المحافظ ريتشارد ويفر، ولقد كان لنجاح أفكار الحركة النسوية عواقب على بلدنا. ويمكن رؤية هذه العواقب في الزيادة التي بلغت ١٠٠٠٪ في أعداد الأخدان غير المتزوجين الذين يعيشون معا في الولايات المتحدة، وقد قفز عددهم من ٥٢٣٠٠٠ في العام ١٩٧٠ إلى ٥,٥ مليون اليوم.[٣٩] وتفيد أيضاً تقارير إحصاءات السكان في العام ٢٠٠٠، ولأول مرة في تاريخنا، أن الأسر النووية تمثل أقل من بيت واحد ١ من كل ٤ بيوت، بينما يُشكل العزاب الأمريكيون الذين يعيشون منفردين الآن نسبة ٢٦٪ من كل البيوت.[٤٠] الزواج لم يبق هو الأسلوب (الموضة).

ورجوعا إلى العام ١٩٩٠ نشرت كاترينا رانسكي، وهي مؤلفة أقل شهرة بكثير من ناشطات الحركة النسوية الأمريكية، نشرت

كتابا في بريطانيا بعنوان قلوب فارغة وبيوت فارغة، وعالجت فيه النتيجة الحتمية لكل هذه البلاغة المضادة للذكر والمضادة للزواج. وقالت: إن الحركة النسوية للمساواة بين الجنسين،

> هي حليف دارويني أعمى. وبتعبير بيولوجي، ليس هناك من شيء يحدد نمطا عاجزا عن التكيف بمثل هذه السرعة مثل المستوى المتدني لاستبدال السكان عن طريق الإنجاب والتناسل، والعاقبة الفورية للحركة النسوية هي ما يظهر بأنه انهيار لا يقبل العودة في معدل المواليد. إن الأمم التي تتبع سياسات الحركة النسوية للمساواة تتبعها وهي تعرض نفسها للمخاطر.[٤١]

وباختصار، فإن صعود الحركة النسوية للتسوية ينذر بموت الأمة وبالنهاية للغرب. ومن الغريب أن أكثر الشعراء خطأ من الناحية السياسية، روديارد كبلنغ، رآها كلها قادمة في العام ١٩١٩:

على أول الحجارة الرملية النسوية وُعدنا بالحياة الكاملة (التي بدأت بحب جارنا، وانتهت بحب زوجته)

إلى أن لم يبق لنسائنا أي أطفال، وإلى أن فقد الرجال العقل والإيمان

وقالت الآلهة في عناوين كتب التقاليد إن: "أجور الخطيئة هي الموت."[٩٢]

obeikandi.com

(هـ) **الثقافة الشعبية.** في ترتيبها للقيم تضع الثقافة الشعبية متع الجنس فوق سعادة الأمومة بكثير. وتحتفي المجلات النسائية، والمسلسلات التلفزيونية والإذاعية، والروايات الرومانسية، والبث التلفزيوني في الأوقات الرئيسية تحتفي كلها بالمسار الوظيفي، وبالجنس، وبالمرأة العزباء. "والقيام بالعناية بالطفل" هو عمل جدتي. والزواج، والزواج الآحادي هما تقريبا مثيران مثل ساندويتش بالبطاطا المهروسة. وذلك الثلاثي القديم "العالم، والجسد، والشيطان، " لم تبق يملك كل الأنغام الفضلى فقط، ولكنه يملك كل وكالات الإعلان الفضلى. كم تلفازا يعرض اليوم معلومات الأمومة؟ ومنذ متى خرج برنامج برادي بنش من الهواء؟ وأغنية بول أنكا الافتتاحية "إنك تحملين طفلي، " هي الآن "نحن نحمل طفلنا، " ولكن أغنية "أنا امرأة" ما تزال حولنا. إنها إشارة إلى أن الأوقات التي فيها أوزي وهارييت ليست خلف الأوقات وحسب. ومثل آموس "و" آندي صارت استعارة لما كان خطأ مع مرور الأوقات.

وكتب عالم الأنثروبولوجيا جيه. د. أنوين: "إن أي مجتمع إنساني حر في أن يختار بين أن يُظهر طاقة عظيمة وبين أن يستمتع بالحرية الجنسية. والبينات تثبت أن المجتمع لا يستطيع أن يفعل الأمرين أكثر من جيل واحد."[٤٣] وإن ما يدعى الآن أعظم جيل

كان هو الجيل الذي كبر في وقت الكساد وفي الحرب العالمية الثانية. وقد أظهر طاقة عظيمة وأعطى أمريكا موقعا بارزا لا ينافس. وأطفال ازدهار الولادات وأطفال الجيل أكس(*) عموما اختاروا "الحرية الجنسية." وقريبا سنرى ما إذا كان أنوين على حق. والعائدات المبكرة توحي بأنه كان محقا، وبأن الغرب لن يعيش بعد تجربته في التحرر الجنسي في شكل يمكن تمييزه. وكما لاحظ كاتب العمود المحافظ جنكن لويد جونز وقال: "إن الحضارات العظيمة والمعايير الحيوانية للسلوك لا تتعايش إلا لفترات قصيرة فقط."[٤٤]

(و) انهيار النظام الأخلاقي. ما يعتقده الناس حقيقة حول الصواب والخطأ يمكن أن يتحدد ويعرف من خلال الكيفية التي يعيشون بها حياتهم على نحو أفضل مما يتحدد ويعرف من خلال ما يقولونه باستطلاعات الرأي. فإذا كان الأمر كذلك، فإن النظام الأخلاقي القديم في حالة موت. وحتى وقت متأخر في الخمسينيات من ١٩٥٠ كان الطلاق فضيحة، وكان "العيش معا بلا زواج" يوصف بأنه الكيفية التي تعيش بها "القمامة البيضاء، »(**) وكان الإجهاض

(*) مواليد جيل السبعينات من ١٩٧٠.

(**) هذه كلمة شتم يعبر بها الأمريكان عن المجموعات المتفلتة وغير الأخلاقية من الجنس الأبيض.

مقززا، وكان اللواط هو "الحب الذي لا يجرؤ أحد على أن ينطق باسمه." أما اليوم، فإن نصف كل الزواجات تنتهي بالطلاق، "والعلاقات" هي ما تدور الحياة حولها، و " الحب الذي لا يجرؤ أحد على أن ينطق باسمه." لا يغلق فمه. ويقول عالم السكان البلجيكي رون لسثايغي إن انهيار الزواج والخصوبة الزواجية يعود إلى "تحول في نظام تشكيل الأفكار الغربية" ابتعد على أمد طويل عن القيم التي أكدتها النصرانية - التضحية، والإيثار، وقدسية الالتزام - وتوجه نحو "فردية علمانية" محاربة تركزت على الذات.[٤٥]

وعندما أصدر البابا بول السادس في العام ١٩٦٨ تعميمه الكنسي ضد منع الحمل، الحياة الإنسانية، فإن العداوة الشاملة التي استقبل بها ذلك التعميم، حتى بين الكثيرين من الكاثوليك، أعطت شهادة على التغيير الهائل في المجتمع. ومع ذلك فإن البابا الراحل أثبت رؤية ثاقبة. وكما كتب رئيس الأساقفة تشارلز جيه. شابوت من دنفر يقول: في الحياة الإنسانية تنبأ البابا بول بأربع عواقب لتبني الإنسان موقفا عقليا ثابتا من منع الحمل:

١- الانتشار الواسع "للخيانة الزوجية والانخفاض العام للأخلاق."

٢- لم تبق المرأة هي "الرفيقة المحترمة المحبوبة" للرجل، ولكنها تخدم بصفتها "مجرد أداة للاستمتاع الأناني."

٣- إنه "وضع سلاحا خطرا في أيدي السلطات العامة التي لا تعير أدنى اهتمام للأزمات الأخلاقية."

٤- إن معاملة الرجال والنساء وكأنهم أشياء، ومعاملة الأطفال الذين لم يولدوا وكأنهم مرض ينبغي منعه، سوف تؤدي في النتيجة إلى نزع الصفات الإنسانية من النوع البشري.[٤٦]

مع هذا الزنا المتعدد غير المنضبط والطلاق على نطاق واسع، وانفجار الكتابة العارية وشيوع فلسفة بليبوي(*) في التيار العام، وقيام دافع الضرائب بتمويل الإجهاض، وفي يوم نستطيع فيه أن نقرأ في أمريكا عن فتيات في العشرية الثانية من أعمارهن يرمين مواليدهن الجدد في حاويات القمامة ويتركنهم في الثلج، فإن العالم الذي تنبأ به بول السادس قد أظلنا. وفي الحقيقة فإن العالم الجديد يكتسب مظهر العالم القديم لروما الوثنية، حين كان المواليد غير المرغوب فيهم يتركون على سفوح التل ليموتوا من التعرض للعوامل الطبيعية. ولم تبق الحياة محترمة مثلما كانت في زمن الجيل الأعظم الذي عاد إلى الوطن بعد أن رأى كيف أن الحياة كانت غير محترمة في عالم يخوض الحرب. وكما تنبأ البابا، فإن المنتفعين من منع الحمل والإجهاض تبين أنهم رجال أنانيون يستخدمون النساء ثم يقذفون بهن بعيدا كأنهن منديل ورقي من كلينكس.

(*) أي فلسفة الانحلال والعبث.

وما من ناحية يتجلى فيها الإطاحة بالنظام الأخلاقي القديم أكثر مما هو بَيِنٌ في الكيفية التي ينظر فيها إلى اللواط اليوم والأمس. في الحرب العالمية الثانية أُجبر وزير الخارجية سمنر ويلز الذي لبس "ربطة المدرسة القديمة" لفرانكلين ديلانو روزفلت، أجبر على الخروج من المنصب بسبب عرضه علاقة جنسية مع عامل في عربة نوم في القطارات. وخاف ليندون جونسون من أن القبض على المساعد وولتر جنكنز، الذي قبض عليه في عملية سرية للشرطة في غرفة الرجال في جمعية الشباب المسيحي، قد يكلفه ملايين الأصوات. وفقد النجم الصاعد للحزب الكبير القديم بوب بومان مقعده في مجلس النواب عندما قبض عليه وهو يغوي من هم في العشرية الثانية من أعمارهم من الفتيان في منطقة الرذيلة من مقاطعة كولومبيا (دي. سي.). ذلك كان سابقا، أما الآن فهو الآن.

وجاءت نقطة التحول عندما قام جيري ستدّس، وهو الذي أغوى غلاما داعرا تحت الطلب يبلغ السادسة عشرة من العمر، بتحدي عقوبات مجلس النواب وأعيد انتخابه في ماساشوسيتس، وهي ولاية كاثوليكية. وبقي بارني فرانك بسهولة برغم معاقبة مجلس النواب له بسبب ترتيبه تذاكر مداعبات لمحب ذكر يعيش معه، وكان يدير بيت دعارة كامل الخدمة من شقة بارني في البدروم، وفي عهد كلينتون، بدأ يحضر صديقه الغلام معه إلى

المناسبات الاجتماعية في البيت الأبيض. وفي عام ٢٠٠١ مزق الشيوخ السابقون زملاء جون آشكروفت جلده في أثناء جلسات الاستماع لتثبيته في المنصب وكان ذلك لأنه سبق أن عارض تسمية اللوطي جيمس هورمل ليكون سفيرا إلى اللوكسمبورغ. ورحب هورمل ضاحكا، وهو يذيع من سان فرانسيسكو استعراض افتخار اللواطيين، رحب بتبديل الملابس للجنس الآخر "أخوات الانغماس الأبدي، " وهو يهزأ بالبابا وبالراهبات الكاثوليكيات. حقا، إن العالم قد انقلب رأسا على عقب.

وعندما انفصلت أشهر زوجتين في أمريكا لدى الرأي العام السحاقيتان الممثلتان آن هيك و إيلن دي جينيرس فقد زارهم رئيس الولايات المتحدة ليقدم تعاطفه. وصارت هيلاري كلينتون أول سيدة في البيت الأبيض تمشي في مدينة نيويورك في استعراض افتخار اللوطيين. فهل تساءلت نيويورك تايمز في افتتاحيتها، وهذه الصحيفة هي السيدة الشمطاء للشارع الثالث والأربعين، هل تساءلت عن الحكمة في أن تشارك السيدة الأولى لأمريكا في الاستعراض مع الرجال اللابسين ملابس نساء والرجال المتعلين الصنادل بسيور؟ لا أبدا. وكذلك فقد أخبر ريتشارد بيرك، المراسل السياسي الوطني للتايمز، أخيراً الزملاء في الاستقبال المقام بمناسبة الذكرى العاشرة لجمعية الصحفيين القومية للسحاقيات واللواطيين فقال إن "ثلاثة

أرباع الناس الذين يقررون ما يجري على الصفحة الأولى [من التايمز] هم لواطيون "ليسوا إلى ذلك الحد منغلقين على انفراد"»[٤٧]

بعد تسعة شهور من المسير في استعراض افتخار اللواطيين، رفضت السيدة كلينتون أن تسير في استعراض يوم القديس باتريك الأربعين بعد المائتين، وهو الاستعراض الذي كان سابقا واجبا على جميع سياسي مدينة نيويورك. والنظام القديم للإيرلنديين، وجماعة أخوة الرومان الكاثوليك التي تدير الاستعراض لم تسمح لمنظمة السحاقيات الإيرلنديات واللواطيين الإيرلنديين بأن يمشوا وحدة واحدة، وسبق أن عوقبت السيدة كلينتون من جماعات حقوق اللواطيين لأنها سارت في يوم القديس باتريك في العام ٢٠٠٠م. إن استرضاء السناتورة كلينتون للواطيين، ولو كان ذلك يعني إهانة الكاثوليك الإيرلنديين، يدل على التوازن الجديد للقوة في الحزب الديمقراطي، وعلى الرابطة الجديدة للقوات في حرب الثقافة.

ولو أن هيستر برن كانت شخصية حقيقية وليست خيالية في رواية هوثورن(*) لكانت على ملصق روزي(**) بدل أن تكون مرفوعة

(*) الحرف القرمزي (١٨٥٠) رواية للكاتب الأمريكي ناثانييل هوثورن (١٨٠٤-١٨٦٤)، وهي رواية كئيبة عن الخطيئة والتكفير والخلاص.

(**) روزي: هو ملصق يرمز للمرأة العاملة التي التحقت بالعمل في المصانع الأمريكية في الحرب العالمية الثانية للتعويض عن ملايين الرجال الذين ذهبوا للحرب، وصار رمزاً للمرأة البطلة قومياً.

على المشنقة، وعليها حرف قرمزي "آ"A[*] قد دُبس بقميصها، ولفضحت صاحبها القسيس ديمزديل بصفته والدا لا يفي بديونه، ولكانت تخاطب جمهورا محييا لها وتقول ما تستطيع أن تفعله الدكتورة لورا[**] بنصيحتها.

وحتى أطفال وسط أمريكا الآن يقومون برحلات مناوبة واجبة في الثورة الجنسية. وقولهم "اعمل الشيء الذي يخصك!" هو الآن عُرف أخلاقي. وكل امرأة أمريكية في سن حمل الأطفال كان لها إجهاض كمرجع تعود إليه، والملايين منهن لن يرجعن عنه. يردنه موجودا لأنفسهن ولبناتهن وسوف يصوتن ضد أي سياسي أو حزب يهدد بانتزاع الإجهاض منهن.

القتل للرحمة جاء إلى أوروبا وهو قادم إلى أمريكا، وعلى أي أساس أخلاقي سنقف نحن بعد الآن لنوقف موت الرحمة؟ إن الدكتور كيفوركيان، وكان يمكن أن يعتبر غولا في عصر سابق، وبعض ضحاياه كانوا مكتئبين ليس إلا، ولم يكونوا يموتون، إن هذا الدكتور يحصل الآن على صورة متعاطفة في برنامج ٦٠ دقيقة. في عصر الفرد، يؤمن الناس بهذه الحياة، وليس بالحياة الأخرى، يؤمنون بنوعية الحياة، وليس بقدسية الحياة، وما من أحد يريد أن

(*) هذا الحرف A يرمز للكلمة Adulteress وهي الزانية المتزوجة.

(*) د. لورا شلسينجر. يهودية، صاحبة برنامج إذاعي عن الأسرة والزواج والأطفال.

يقال له كيف عليه أن يعيش حياته. ويكتب عالم الاجتماع والمثقف العام الشعبي ألن وولف ويقول: "إن الأمريكين لن يعيشوا حياتهم في القرن الحادي والعشرين على أساس مُثُلٍ أخلاقية من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وإن أي شكل من أشكال السلطة العليا عليها أن تفصل طلباتها وفق حاجات الناس الحقيقيين."[٤٨] وبعد ألفية ونصف، تكون الوثنية هي "الطفل العائد."

أمريكا التي نشأ فيها الكثيرون منا ولّت. وانتصرت الثورة الثقافية في عقول الملايين وما بقي في طوق قوة السياسيين قلب وضع الثورة الثقافية رأسا على عقب، ولو كانوا يملكون الشجاعة لمحاولة ذلك. إن نصف الأمة قد تحول. والكاثوليك في حزب الطبقة العاملة هم يوافقون تقريبا بنسبة ١٠٠٪ على حقوق ما يعرف "مع حق الاختيار للمرأة" ومع حقوق الاختيار للواطيين. وحزب الأكثرية الأخلاقية والائتلاف المسيحي قد انسحب في المسائل الاجتماعية - فأن تخرج وتعمل عمل الرب صار عمل وزارة التربية والتعليم. ولم يبق الشباب مهتمين بشأن أرواحهم، وإنما هم قلقون على ناسداك. والعديد من نخب المثقفين والإعلاميين يحاربون بصفة حلفاء للثورة أو زملاء مسافرين، والعديد من المحافظين يغردون طلبا لشروط الهدنة.

وما أعلنته جماعة ضئيلة من ذوي الاتجاه الإنساني العلماني في بيان في عام ١٩٧٣صار هو البوصلة الأخلاقية لأمريكا، ويجري

الآن جعله قانونا للبلاد. لقد أنصت الأمريكيون لقيم الثورة، وتشربوها، واحتضنوها، وهي القيم التي ألصقت الفضيحة بآبائهم وأجدادهم، واستحضرت إلى الذهن البصيرة العميقة التي قالها أليكساندر بوب(*):

الرذيلة وحش له سحنة مهولة للغاية،
ولكي تكره هذا الوحش تحتاج إلى أن تراه وحسب.
ومع ذلك فإننا إن رأينا الرذيلة كثيرا جدا، وتآلفنا مع وجهها،
فإننا في البداية نحتملها، ثم نرثي لها، ثم نحتضنها.[٤٩]

إن ثورة مضادة اجتماعية فقط أو صحوة دينية هي التي تستطيع أن تقلب اتجاه الغرب قبل أن يؤدي هبوط معدل الولادات إلى إغلاق آخر مخرج للعبور وقبل أن يقرع الجرس معلناً نزول الستارة على مسرحية الرجل الغربي التي دام تمثيلها طويلا. ولكن ما من إشارة في الأفق يمكن أن نراها تدل على أي من الأمرين: لا الثورة المضادة الاجتماعية ولا الصحوة الدينية .

ما هي القوة التي تستطيع أن تقاوم أغنية جنية البحر الفاتنة لثقافة المتعة واللذة التي تغوي وتعجب للغاية والتي يروجها كل الذين يتحدثون إلى الشباب تقريبا - هوليوود، وتلفاز الموسيقى،

(*) شاعر إنكليزي (١٦٨٨-١٧٤٤)

والمسلسلات الإذاعية والتلفازية، ووقت البث الرئيسي في التلفاز، والمجلات الساخنة، والموسيقى الساخنة، والروايات الرومانسية والأفضل مبيعاً؟ وكيف يمكن للوالدين أن ينافسوا عندما يقوم الناس حتى المعلمين والواعظين منهم بتقديم الواقي الذكري؟ ما الذي سيقلب رأي النساء الأمريكيات إلى أن يردن ما أرادت أمهاتهن وما صلّت من أجله جداتهن: رجل طيب، وبيت في الضواحي، ومجموعة من الأطفال؟ يبدو هذا الأمر غريبا تقريبا.

في القيصر والمسيح، وهو الكتاب الثالث من قصة الحضارة للمؤرخ وِلْ ديورانت يحاجج هذا المؤرخ بأن "العوامل البيولوجية" كانت "أساسية" في سقوط الأمبراطورية الرومانية:

يظهر هبوط خطير في عدد السكان في الغرب بعد هادريان(*) ويتحدث قانون أصدره سيبتيموس سيفيروس(**) عن نقص في الرجال. وفي بلاد الإغريق كان نقص السكان مستمرا لعدة قرون. وفي الإسكندرية التي افتخرت بأعدادها حَسَبَ الأسقف ديونيسيوس(***) أن السكان كانوا في زمانه [٢٥٠ قبل

(*) عاش بين (٧٦ -١٣٨) إمبراطور روما (١١٧-١٣٨) وهو الذي سعى إلى إنهاء التمييز بين روما ومقاطعاتها .

(**) إمبراطور روما (١٩٣-٢١١) وهو الذي شكل حكما عسكريا وحكم مستبدا .

(***) عاش (٢٠٠؟-٢٦٠؟)، قديس ومفكر لاهوتي يوناني مسيحي .وكان أسقف الإسكندرية بعد ٢٤٧ .

الميلاد] قد بلغوا النصف. وكان يندب ويتفجع لأنه يرى "الجنس البشري يتناقص ويضمحل باستمرار." البرابرة والشرقيون فقط هم الذين كانوا يزدادون في خارج الإمبراطورية وفي داخلها.[٥٠]

كيف خفضت روما سكانها؟ " لقد ازدهر قتل الأطفال على الرغم من أنه وُصِم بأنه جريمة ... وقد يكون الإفراط الجنسي قد خفض الخصوبة الإنسانية، وتجنب الزواج أو تأجيله قد يكون له مثل ذلك الأثر."[٥١] ويضيف ديورانت "ربما كان لعملية منع الحمل، والإجهاض، وقتل الأطفال... آثار في تدهور السكان وراثياً، وكان لها أثر عددي أيضا. أقدر الرجال تزوج آخرهم، وأنجب أقلهم، ومات أبكرهم.[٥٢] "كان المسيحيون ينجبون أطفالاً بينما الوثنيون لا ينجبون: كان الإجهاض وقتل الأطفال اللذان يهلكان المجتمع الوثني ممنوعين على النصارى بوصفهما عملين معادلين للقتل، وفي العديد من الحالات أنقذ المسيحيون الأطفال المتروكين عرضة للعوامل الطبيعية، وعمّدوهم، وأنشؤوهم بمساعدة أموال المجتمع.[٥٣]

مفارقة المفارقات. اليوم يضغط غرب مسيحي مسن يموت، يضغط على العالم الثالث وعلى العالم الإسلامي ليقبل منع الحمل والإجهاض والتعقيم مثلما فعل الغرب. ولكن لماذا عليهم أن يدخلوا حلف انتحار معنا في الوقت الذي يقفون فيه لوراثة الأرض عندما نكون قد ذهبنا؟

عندما طُلب الاستسلام من قوات الجنرال كامبرون في واترلو(*) أجاب: "الحرس القديم يموت، ولكنه لا يستسلم."[٥٤] وهذا شعار رائع للذين التجؤوا في دهليزنا الخاص بالحرب الثقافية. ومع ذلك فإن تقييما موضوعيا لميدان المعركة - من الذي يملك المدافع الكبيرة؟ من الذي يحتل الأرض العالية؟ - يوحي بأن الحرس القديم سوف يموت. وذلك لأن القرارات التي تتخذها النساء اليوم سوف تقرر إن كانت الأمم الغربية ستكون موجودة في غضون قرن، والنساء الغربيات يصوتن بلا.

ولكن من أين جاءت هذه الثورة التي أَسَرت، بهذه السرعة الكبيرة، شريحة ضخمة من معظم الناس المسيحيين و "التابعين للكنائس" من شعوب الغرب؟ وما هي عقائدها ومذاهبها؟

(*) معركة واترلو لقي فيها نابليون بونابرت هزيمته النهائية على يد تحالف قادته بريطانيا في ١٨ حزيران يونيو ١٨١٥

obeikandl.com